بسم الله الرحمن الرحيم

القدرة لا تتعلق بالواجب ولا بالمستحيل

الحمد لله وكفى، وصلى الله على سيدنا المصطفى وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه واقتفى.

أما بعد،،،

فاعلم أخي المؤمن أن هذا المبحث فيه حقيقة الإرادة والمشيئة والأمر، وهو من أخطر مباحث العقيدة، لذلك زلَّت فيه الأقلام وسقطت فيه الأعلام، فافهمه لكي يرفع عنك الملام، فنقول وبالله التوفيق:

أولاً: أن القدرة لا تتعلق بالواجب ولا بالمستحيل؛ لأنها إن تعلقت بوجود الواجب لزم تحصيل الحاصل ولا معنى له، وإن تعلقت بعدمه لزم انقلاب حقيقة الواجب وحقيقته لا تقبل العدم "أي المستحيل" فلزم المطلوب أن القدرة لا تتعلق إلا بالممكن "أي الجائز"، وإن تعلقت بالمستحيل لإعدامه لزم تحصيل الحاصل أيضاً ولا معنى له، وإن تعلقت بوجوده لزم انقلاب حقيقة المستحيل، وحقيقته لا تقبل الوجود فلزم المطلوب وهو أنَّ القدرة لا تتعلق إلا بالممكن.

وبناءً على هذا فإن القدرة والإرادة لا تتعلقان بالواجب ولا بالمستحيل، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾(قّ: 29) لِمَا قرَّرناه من أن المستحيل لا يقبل الوجود، وأن واجب الوجود لا يقبل العدم، ولا يلزم من عدم تعلقهما بالواجبات والمستحيلات نسبة العجز والقصور، إنما يلزمان فيما يمكن أن تتعلق به القدرة والإرادة ولم تتعلقا به، أمَّا ما لا يمكن أن تتعلق به فلا يلزم فيه ذلك أصلاً، ولا شك أنَّ الواجبات والمستحيلات لا يمكن تَعَلُّق القدرة والإرادة بهما لِمَا علمت، وإن توهمهما البعض فهو لتقصيرٍ في عقله وبلادةٍ في ذهنه وفهمه، والله الموفق للصواب، ولقد جمعَ الممكناتِ بعضُهم بقوله:

المكنــــــاتُ المتقــــابلاتُ وجودُنـــا العـــدمُ الصـــفات
أزمنــــــة أمكنــــة جهـــاتْ كـــذا المقـــاديرُ روى الثِّقَــات

ثانياً: أن المشيئة مرادفةٌ للإرادة مخالفةٌ للأمر، ويتَّضحُ هذا بما يأتي:

أ- مخالفةُ الأمرِ للمشيئة؛ لأنه تعالى قد يريد الشيء ولا يأمر به:

مثاله: الكفر الواقع ممن عَلِم اللهُ عدم إيمانهم، فإنه سبحانه شاءَه منهم ولم يأمرهم به وهو معنى قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف: من الآية28)، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (الأنعام: 149)، وجمعاً بين الأدلة ثبتَ المطلوب.

ب- قد لا يريد الشيء ويأمر به:

مثاله: الإيمان ممن عَلِم اللهُ عدم إيمانهم، فإنه تعالى أمرهم به ولم يرِدْهُ منهم لحكمةٍ يعلمُها هو سبحانه، وهو معنى قوله تعالى: ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾(الإسراء: من الآية23)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾(السجدة:13).

ج- قد يريدُ الشيءَ ويأمرُ به:

مثاله: الإيمان ممن علم الله إيمانهم، فإنه تعالى أراده منهم وأمرهم به كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ، وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ، أُولَئِكَ عَلَى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(البقرة: من الآية 1-5)، وقوله تعالى: ﴿ إِنْ هِيَ إِلا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ ﴾(الأعراف: من الآية 155)، وهذا في القرآن كثير، وكذلك استمرار الطاعة بالنسبة للملائكة، فإنَّ الله أراد منهم الطاعة وأمرهم بها.

د- قد لا يريدُ الشيءَ ولا يأمرُ به:

مثاله: الكفر ممن علم الله إيمانهم، فإنه تعالى لم يرده منهم ولم يأمرهم به لقوله تعالى: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾(النحل: من الآية93)، وكذلك المعصية بالنسبة للملائكة قال تعالى: ﴿ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾(التحريم: من الآية6).

خاتمة: لو أن الله خلق الخلقَ وأدخل فريقاً الجنة وفريقاً النار لِسَبْقِ علمه أنهم لا يؤمنون لكان شأن المعذَّب منهم ما وصف الله بقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى ﴾(طه:134)، ولهذا كان حقاً على العاقل أن يسلم لقضاء الله ويتعاطى أسباب رضائه مصداقاً لقوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾(البقرة: من الآية286)، ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم: « اعملوا فكلٌّ مُيَسر لِمَا خُلق له » الحديث، والله ورسوله أعلم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين

حرره خادم العلم الشريف أبو الفضل أحمد بن منصور قرطام الحسيني المالكي الفلسطيني كان الله له ولوالديه ولكل من كان له فضل عليه بمنه وكرمه آمين آمين آمين.

إعداد:

قسم البحوث والدراسات

واحة آل البيت لإحياء التراث والعلوم

11 شوال 1428هجري الموافق 22 أكتوبر 2007 رومي